الفصل الأول

مقبرة ماملا ﴿مأمن الله﴾

obeikandl.com

obeikandl.com

مقبرة ماملا «مأمن الله»

يذكر مجير الدين العليمي عن المقبرة أنها "بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد، وفيها خلق من الأعيان والعلماء والصالحين والشهداء.."[11] وفي البيان المرفوع إلى مؤتمر العالم الاسلامي حول الأماكن المقدسة، من قبل راغب الخالدي، وعارف حكمت النشاشيبي، وحسن البديري –أعضاء الأمة الإسلامية الفلسطينية– في 30 رمضان 1350هـ/ 7 شباط 1932م، جاء فيه ما يلي "...مقبرة مأمن الله وهي من أعظم مقابر المسلمين، تحتوي على أجساد سبعين ألفاً من شهداء المسلمين الذين كانوا جنود مولانا الناصر لدين الله صلاح الدين الايوبي، ودفنوا هناك، وتحتوي على أحبار العلماء الذين هدمت قبورهم، وتغيّرت معالمها...."[12] في حين يذكر حمد يوسف مقبرة "ماملا" بقوله"...إنها مقبرة قديمة، وهي من أقدم المقابر الاسلامية في بيت المقدس، ويعود تاريخها إلى الفتح الاسلامي لبيت المقدس سنة 16هـ/ 636م، وتحتضن في ثراها رفات العديد من الصحابة الابرار. وتقع المقبرة بظاهر بيت المقدس من جهة الغرب (وهي الآن في القدس الغربية المحتلة من قبل اسرائيل)، وهي مقبرة للأعيان والعلماء والصالحين.."[13] وأما عبد الغني النابلسي فيذكرها قائلاً "..مقبرة ماملا بالقدس الشريف هي أكبر مقابر المجد، فيها خلق كثير من العلماء والاعيان والشهداء والصالحين...". فيما يقول المؤرخ الفلسطيني عارف العارف أن مقبرة "ماملا" هي من أقدم مقابر القدس عهداً.[14]

1.1 في التسمية ومدلولاتها:

يعتبر أقدم النصوص التي أتت على ذكر هذه المقبرة ما جاء في الحديث الشريف "..من دفن في بيت المقدس في زيتون الملّة فكأنما دفن في سماء الدنيا، وأنها روضة من رياض الجنة".[15]

(11) مجير الدين، الأنس الجليل، ص: 413.
(12) راغب الخالدي وآخرون،الإعلان إلى العالم الإسلامي، ص: 6.
(13) حمد يوسف، من آثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس، ص: 414.
(14) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص: 505.
(15) الواسطي، فضائل بيت المقدس، ص: 47.

وفي هذا المقام، يذكر صاحب الانس الجليل العلامّة مجير الدين العليمي الحنبلي أن تسمية المقبرة "..بماملا، قيل إنما أصله: مما منّ الله. وقيل: باب الله. ويقال: زيتون الملّة. واسمها عند اليهود: بيت ملواء. وعند النصارى: بابيلا. والمشهور على ألسنة الناس: ماملا....".[16]

وسيراً على خطى مجير الدين، الذي كما ذكرنا اكدّ على أن تسمية المقبرة بـ(ماملا) هي الأكثر شيوعاً بين الناس، فإننا نجد أن الكاتب والمؤرخ فهمي الأنصاري في ترجمته لحوالي (مائة واثنين وثلاثين علماً) ممن دفنوا في هذه المقبرة العريقة، يرجّح هذه التسمية المتداولة بين الناس، بدليل استخدامه لها دون سواها فيما نشره في كتاب "القدس الإسلامية" تحت عنوان /تراجم أهل مقبرة ماملا، مستثنياً المسمّيات الأخرى التي أوردها مجير الدين وغيره من العلماء والمؤرخين.

وفي مقالة نشرت في صحيفة القدس بتاريخ 28/آذار/2010م تحت عنوان(مقبرة مأمن الله) لكاتبها الاستاذ طاهر النمري، فإننا نجده يقول بأن التسمية التي كثر شيوعها وانتشارها في العصرين المملوكي والعثماني هي تسمية "مأمن الله"، وكان قد ذكر التسميات الأخرى مثل "ماميلا" (بالياء)، "وما منّ الله"، وكذلك "زيتونة الملّة"، مذكراً بأن مجير الدين قد ذكرها بـ" مما منّ الله". وقد يكون السبب في ذلك هو ترجيحه للفظة الفصحى للتسمية (مأمن الله) على اللفظة العامّية أو الدارجة (ماملا) والله تعالى أعلم. أما الكاتب والباحث حمد يوسف، فبالرغم من إقراره بعدم اتفاق الباحثين والمؤرخين على تسمية بعينها، وقيامه بسرد عدد من المسمّيات التي عثر عليها في بطون الكتب والمصنّفات التاريخية، من قبيل: باب الله، باب الملّة، بابيلا، باملا، بيت مامل، بيت ملو، زيتون الملّة، زيتون الله، ماء من الله، ملواء، مأمن الله وغيرها من المسمّيات، وفي كتابه "بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الايوبية" يقول إن تسميتها (أي المقبرة) بماملا، قيل أنها مأمن الله، ويقال زيتون الملّة، واسمها عند النصاري بابيلا، واسمها الدارج على ألسنة الناس ماملا.[17] ولا يفوتني أن أذكر كذلك بما ورد في وصف المقبرة في(المفصّل في تاريخ القدس) للمؤرخ الفلسطيني عارف العارف الذي قال بأن الباحثين قد اختلفوا في تسميتها... "... فمن قائل: أنها (ماملا). وهذه الكلمة من (ماءملا). وملا اسم ذاك المكان في غابر الزمان. وفي ذلك قال الشاعر:

(16) مجير الدين، مصدر سابق ص: 413.
(17) من آثارنا العربية والإسلامية، مصدر سابق، ص: 415.

رعى الله واوينا المقدس أنه حوى روضة الفردوس أجراث ماملا

مآثر رضوان ومهبط رحمة أحيت من عالم الغيب ماء ملا [18]

لذا فإن في وصفه هذا مؤشر على ترجيحه لتسمية المقبرة بـ(ماملا) وهي المتعارف عليها بين الناس كما سبق وذكرنا.

وخلاصة القول، وبعد هذا الاستعراض الموجز لعديد التسميات التي أطلقت على هذه المقبرة، فإن بالإمكان الاستنتاج بأن التسمية (ماملا) هي اللفظة العامية أو الدارجة للتسمية الفصحى(مأمن الله)، وأن تسميتها بـ"زيتون الملّة" كما وردت في الحديث الشريف سابق الذكر لا علاقة لها تحديداً بهذه المقبرة، وإنما جاءت وصفاً لبيت المقدس عموماً استناداً إلى قوله تعالى في سورة التين ... ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ إلى آخر السورة الكريمة، حيث ورد في تفسير هذه الأيات بأن (التين والزيتون) ترمزان إلى بيت المقدس، وقيل جبلين في الشام ينبتان المأكولين، (وطور سنين) الجبل الذي كلمّ الله تعالى عليه موسى عليه السلام، (وهذا البلد الأمين) مكةّ لأمن الناس فيها جاهلية واسلاماً.

2.1 في الموقع والمساحة والحدود:

وذكرنا بأن صاحب الانس الجليل قد حدّد موقع مقبرة "ماملا" بأنها تقع بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد (إشارة إلى مساحتها بالمقارنة مع المقابر الكبرى الأخرى في بيت المقدس وعلى وجه الخصوص مقبرتي باب الرحمة والساهرة)، كما قال بأن فيها خلق من الأعيان، والعلماء، والصالحين، والشهداء. ويعيد حمد يوسف تكرار ذات الموقع الذي جاء في الانس الجليل في قوله أنها تقع بظاهر بيت المقدس من جهة الغرب، مضيفاً بأنها الآن في الشطر الغربي المحتل من قبل اسرائيل، (وهذا بالطبع قبل وقوع بقية المدينة في ايدي الاحتلال الاسرائيلي في العام 1967م، والتي تشمل كامل البلدة القديمة من القدس داخل الأسوار التاريخية والاحياء المحيطة بها من الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية).

والحقيقة، أنه لا يفصل المقبرة عن "باب الخليل" أو "بوابة يافا" إلى جهة الغرب مباشرة سوى بضعة مئات من الأمتار، والتي لا تستغرق السائر على قدميه اكثر من عشر دقائق للوصول إلى الطرف الشرقي من المقبرة. وفي

(18) المفصل في تاريخ القدس، مصدر سابق، ص: 505.

وصفه للمقبرة فقد اكدّ عبد الغني النابلسي على أن "ماملا" هي من "أكبر" مقابر البلد، فيما ركز المؤرخ الفلسطيني عارف العارف على قِدَم المقبرة في قوله بأنها "أقدم" مقابر القدس عهداً. ومن جانب آخر فقد أشار في كتابه "المفصّل في تاريخ القدس" بأنها (اي المقبرة) "... من أكبر المقابر الإسلامية لا بل أكبرها طراً، مساحتها تقرب من مئتي ألف متر مربع، واقعة غربي المدينة وعلى بعد كيلومترين من باب الخليل. كانت فيما مضى بعيدة عن العمران. وأما الآن فقد أصبحت في وسط البنيان بسبب اتساع المدينة وازدياد عدد السكان. ولهذا أصدر المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه المفتي الحاج أمين الحسيني أمراً يحظر دفن الأموات فيها، وكان ذلك عام 1927م..."[19]

فيما نرى اهتمام الكاتب الأستاذ طاهر النمري بإضافة معلومات وأرقام مفصّلة بقوله "...قرر المهندسون بتاريخ 1929/4/16 مساحتها بما يعادل 137.5 دونماً، في حين سّجلت مساحتها في دائرة الطابو بتاريخ 1938/3/22م بما يوازي 560,134 من الدونمات، واستصدر بها كوشان طابو باسم الوقف الاسلامي..."[20]

وقد ذكر المؤرخ كامل العسلي أن مساحة المقبرة تقدر بـ(168 دونماً)، وأضاف بأن الخارطة التي أعدها المهندس الانجليزي س . نوروك تبين مساحة المقبرة بـ(137,450 متراً مربعاً) دون شمول المساحة لمقبرة الجبالية التي أقيمت عليها "القلندرية" جنوبي مقبرة "ماملا" والتي يفصلها الشارع العام عن المقبرة.

وعن حدود المقبرة، يقول حمد يوسف "...إن المقبرة كانت تمتد إلى منطقة دير الروطزبون غرباً، وإلى قرب سور المدينة شرقاً، ومن أواسط منحدرات رأس الميدان (المنطقة التي عليها البنايات الروسية والمسمّاه الآن المسكوبية). ويضيف بأن حدود المقبرة من الجنوب والجنوب الغربي، والجنوب الشرقي تطل على طرق عامه. أما حدودها من الشمال الغربي وباتجاه الشرق فكانت على التوالي مع عائلات عربية فلسطينية مثل: عائلة طّنوس، ناصر، دجاني، ثم طريق عام. وفي الشمال الشرقي عائلة أرمنيان، حنا طّنوس، شكيب النشاشيبي، محمد اسماعيل الطزيز، وغيرهم.. وطريق عام. كما أكدّ على أن المقبرة بجميع حدودها وقف اسلامي صحيح مضبوط مؤبد،

(19) المصدر السابق، ص: 505.
(20) طاهر النمري، مقتطف من صحيفة القدس، مصدر سابق، ص: 35.

مستنداً في ذلك إلى ما ورد في نص وثيقة تسجيل أراضي "كوشان طابو" من مقتنيات مؤسسة إحياء التراث والبحوث الاسلامية بالقدس.[21]

.... وفي عام 1847م أحيطت المقبرة في العهد العثماني بسور حجري ارتفاعه مترين، وكانت دائرة الأوقاف الإسلامية قبل عام 1948م تعنى بالمحافظة على ما فيها من أشجار، وتقلّم الأعشاب الضارة منها.[22]

ولا يعرف على وجه التحديد من هي الجهة التي قامت بإحاطة المقبرة بهذا السور، لكنني وجدت في "بيان إلى العالم الاسلامي" الموجّه إلى اعضاء المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس عام 1932م، حول إحاطة المقبرتين (المقصود ماملا والقلندرية) بالأسوار بعد أن تمّ فصلهما بواسطة طريق جرى فتحه زمن رئاسة عمر افندي عبد السلام الحسيني للبلدية، وذلك بعد أن "...ابتدأ الجيران يتعّدون على المقبرة من جميع نواحيها، قام أهل القدس من الذي يدفنون فيها كالسادات الدجانية، والخالدية، والنشاشيبية، ونسيبة، والانصارية، والدزدار،والعسلية، والنمامرة، والجواعنة، وغيرهم وجمعوا الأموال وحوطوا المقبرتين بالسور الحالي...".[23]

ما من شك في أن مقبرة ماملا كانت تحتل مساحة واسعة، وذلك قبل الاعتداء عليها تحديداً زمن الانتداب البريطاني على فلسطين، جرّاء شق الشوارع من كل الاتجاهات، واستمرار إقامة الأبنية والمساكن والمتاجر الكبرى، بعد سقوطها بأيدي الاحتلال الاسرائيلي في العام 1948م، وخاصة في الاجزاء الغربية والجنوبية والشمالية منها. وعلى ذلك فقد يكون تقدير المساحةّ بحوالي 200 دونم أقرب إلى الحقيقة، ذلك أن تقديرات المساحة الواردة في كوشان الطابو، قد جرت زمن الانتداب البريطاني، وفي ظل النفوذ الكبير للموظفين اليهود آنذاك في دائرة مساحة فلسطين والذين التقت أهدافهم بأهداف الانتداب على تقزيم المساحة، والتقليل من شأنها قدر الإمكان، في مؤشر واضح على النوايا المبيّتة للسيطرة عليها وعلى أراضي فلسطين، وفق المخطط الصهيوني الخبيث. وما ذهب إليه الباحث علي سعيد خلف في وصفه حالة المقبرة المعتدى عليها وعلى حرمتها وقدسيتها عن طريق تحويل قسم منها إلى حديقة، والبناء فوق أرض المقبرة، وشق الطرقات، وتحطيم شواهد القبور وجرفها، يؤيد هذا الاستنتاج.

---

(21) من آثارنا العربية والإسلامية، مصدر سابق، ص: 415، 416، 417.
(22) هايل صندوقه، ﷺ مأمن الله في ا....(مقالة) غير منشورة.
(23) بيان إلى العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: 19.

3.1 في معالم المقبرة وآثارها التاريخية:

1.3.1- بركة ماملا:

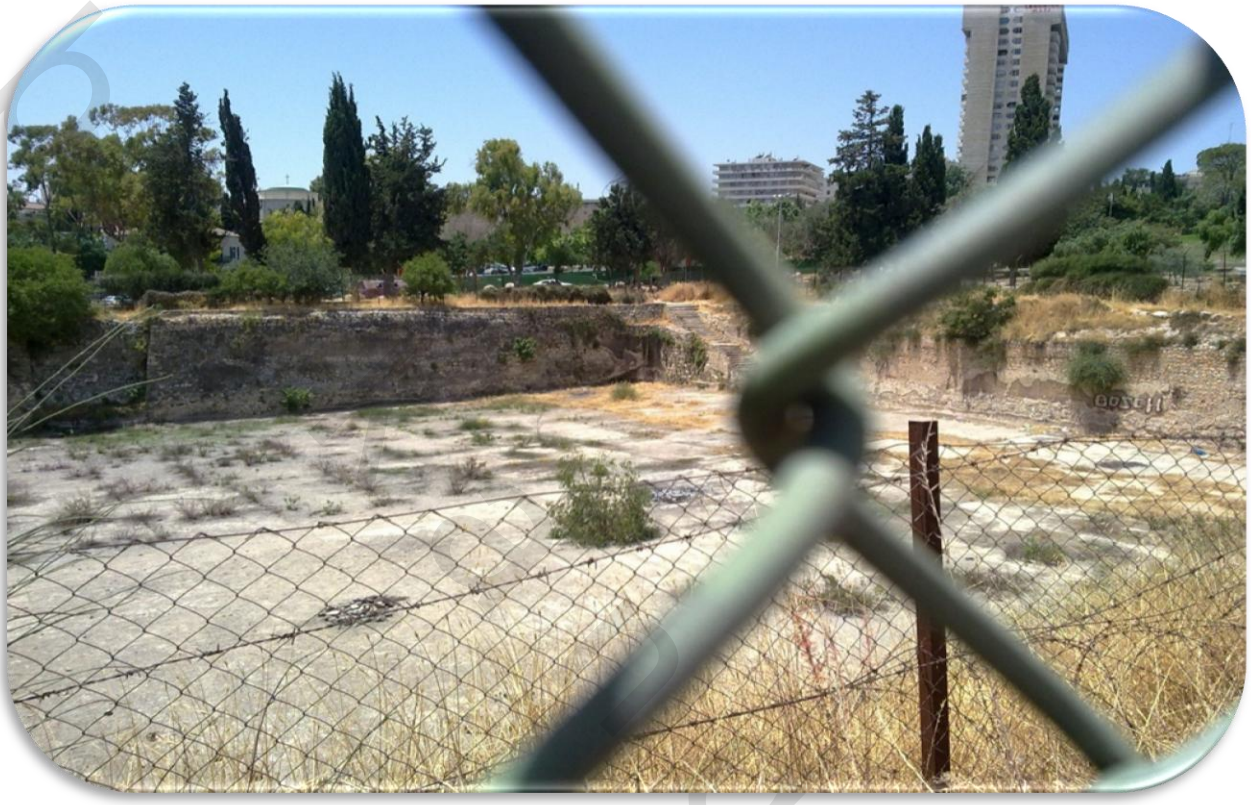

يذكر صاحب الأنس الجليل أنه كان في بيت المقدس ست برك: ثلاثة (ثلاث) في المدينة، وثلاثة أو (ثلاث) خارج المدينة: بركة ماملا، وبركتا المرجيع، جُعل ذلك خزائن للماء لأهل بيت المقدس. ويضيف مجير الدين قائلاً "....وأما بركة ماملا فهي موجودة مشهورة. وهي التي في وسط مقبرة ماملا. وأما بركتا المرجيع فهما بالقرب من قرية إرطاس. وهما موجودتان، ينتفع بهما في خزن الماء الواصل من قناة المسيل إلى القدس الشريف. ومسافتهما عن القدس الشريف نحو نصف بريد. والله أعلم. وسبب تسمية مكانهما بالمرجيع، أن سيدنا يوسف لما أخذه أخوته وألقوه في الجبّ، مروا به على قبر أمه، وهو بالقرب من المرجيع. فلما رأى قبرها، وهم طالعون، ألقى نفسه عن الناقه، وقال: يا أمّاه، ارفعي رأسك وانظري ما حلّ بولدك من البلاء. وفقدوه ورجعوا. فسمي المرجيع، من ذلك اليوم. فلما رجعوا لطموا وجهه، وحملوه وألقوه في الجب، كما هو مشهور في القصة...". [24]

(24) مجير الدين، مصدر سابق، ص: 409.

وعن بركة الماء هذه، يقول الأستاذ صندوقه أن "....بركة ماملا لا تزال قائمة ولكنها مهملة، وتشغل مساحة واسعة، وهي معروفة منذ القدم (أيام الفرس) وفي جميع العصور، كان يستفاد منها في حاجيات المقبرة وبناء القبور، ويقصدها الرعاة لسقاية أغنامهم ودوابهم، ويُقال بأن مياهها كانت تصل بواسطة أقنية إلى البلدة القديمة...."[25].

وعنها يقول الأستاذ طاهر النمري أن المقبرة قد ضمّت "... بركة كبيرة كانت تجمع فيها المياه للسقاة، كما كانت ترفد بركة السلطان بالقرب من مستوطنة منتفيوري بالمياه، كما احتوت على عدة مغر، وحفرت فيها أنفاق ألقيت بها الآف الجثث ممن أجهز عليهم الفرنجة الأوروبيون عند احتلالهم للقدس في العصور الوسطى..."[26].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القدس، ومنذ أقدم العصور، قد اعتمدت على جمع مياه الأمطار وتخزينها في البرك والآبار العديدة التي حفرت لهذه الغاية، وظلّت إلى وقت قريب تعتمد على إيصال المياه لسكان المدينة عبر أقنية تأتي بالمياه من مناطق بعيدة، وذلك إثر ازدياد عدد سكان المدينة وضواحيها. وهذا ما يفسّر كون زراعتها ونباتاتها كانت ولا زالت بعلية؛ كالزيتون، والتين، وأنواع الخضروات الأخرى. فالمدينة نفسها وبسبب وقوعها فوق تلة مرتفعه لم يكن فيها أية ينابيع تذكر، باستثناء "عين سلوان" أو عين "أم الدرج" والتي تقع بظاهر المسجد الأقصى المبارك من جهة الجنوب، وقد وصفها المقدسي بقوله أنها "....محلة في ربض المدينة (القدس) تحتها عين عُذيبة، تسقي جناناً عظيمة، أوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد. تحتها بئر أيوب، ويزعمون أن بئر زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة...."[27] وقد ذكرها كذلك، وتغنىّ بعذوبة وغزارة مياهها، ناصر خسرو وياقوت الحموي، والادريسي والدمشقي ومجير الدين الحنبلي وغيرهم. وبعد فتح صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس، توالى أمراء صلاح الدين يعمّرون القدس، ويقيمون الزوايا والأربطة والمساجد، وكذلك البرك العظيمة لجمع المياه وسدّ حاجة السكان والعسكر.

وقد بلغت ذروة الاهتمام بالأسبله في العصر المملوكي، فاعتنوا بعمارتها عناية فائقة، وليس أدلّ على ذلك من

(25) هايل صندوقه (مقالة)، مصدر سابق.
(26) طاهر النمري، مقبرة مأمن الله، مصدر سابق.
(27) الأب أ.س. الدومسكبل ،يدانية فلسطين العربية، ص: 250.

openkanal.com

سبيل فايتباي[28] في الحرم القدسي الشريف، كما قاموا بإصلاح القنوات وترميم البرك الأيوبية، ولم يكن اهتمامهم هذا يقل عن اهتمام العثمانيين، خاصة في المراحل الأولى من حكمهم للبلاد.

وحول مساحة هذه البركة والتي تم تجفيفها منذ فترة زمنية طويلة، وتحديداً منذ أن بدأت المدينة تعتمد على مصادر أخرى للمياه، فقد ذكر الأنصاري بأن "قسم إحياء التراث" في بيت المقدس، قام بأخذ مقاساتها، في يوم الاثنين 1986/2/24م فكانت مقاساتها؛ من الشرق إلى الغرب 98,20 متراً، ومن الشمال إلى الجنوب 59,45 متراً، وعمقها في الجهة الشرقية 7 أمتار وفي الجهة الغربية 6,10 متراً..".[29] وهي محاطة الآن بسور ارتفاعه حوالي المتر، وقد ثبّت عليه ومن أمامه، سياجين من الأسلاك يلفان البركة من كافة جهاتها الأربع. ويمكن النزول إلى أرضية البركة عبر درج حجري يقع في زاوية البركة من طرفها الجنوبي الغربي، وذلك عبر بوابة حديدية مفتوحة. إن طوبوغرافية الأرض وانحدارها الطبيعي من الغرب وإلى الشرق، ومن ثم إلى المنخفض المؤدي إلى "بركة السلطان"، تشير وبكل وضوح على أن هذه البركة، بوصفها خزاناً ضخماً للمياه، كانت تعتمد على تدفق المياه من الحوض الأعلى –أي (المغارة)– وذلك لقدرتها على حبس كميات كبيرة من المياه، قبل أن تتخلص من المياه الزائدة إلى الحوض الأسفل، أو الجورة السفلى(بركة السلطان) والتي كانت تغذي المدينة بالماء، وبذلك يمكن اعتبارها الحوض الأوسط أو الجورة الوسطى، رغم أن البعض اعتبرها جزءاً من الحوض الأعلى بالنظر إلى انخفاض (بركة السلطان) بالمقارنة مع المغارة والبركة في مقبرة ماملا.

2.3.1– الزاوية القلندرية:

جاء في بيان إلى العالم الإسلامي الصادر في 30 رمضان سنة 1350هـ/1932م أنه يوجد "...بوسط هذه المقبرة (ماملا)، زاوية تسمى القلندرية، بها أبنية عظيمة، وكانت هذه الزاوية كنيسة وهي من بناء الروم وتعرف بالدير الأحمر وللنصارى بها اعتقاد. فقدم إلى بيت المقدس رجل اسمه الشيخ إبراهيم القلندري، وأقام بها بجماعة من الفقراء، فنسبت إليه وسميت بالقلندرية. وكان بالزاوية القلندرية جماعة مقيمين، ولا وقف لها، وقد خرّبت الزاوية وسقطت من زمن قريب في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة، واستمرت خراباً إلى سنة 900

(28) إن أول من أنشأ هذا السبيل هو الملك إينال عام 1455م، ثم قام بتجديده والإضافة عليه الملك فايتباي عام 1482م. ويقع السبيل بين قبة الصخرة المشرفة و باب سوق القطانين الشهير وهو من أجمل الأسبلة في المسجد الأقصى المبارك لما فيه من فن معماري وزخارف بديعة (من كتاب تجوّل في القدس/ د. محمد بحيص عرامين وناصر الرفاعي).
(29) فهمي الانصاري، مقبرة مأمن الله، ص: 77.

هجرية، وبها يدفن الأعيان من الأمراء ممن يرد إلى بيت المقدس وغيرهم، وأرض القلندرية ومعظم أرض ماملا صخر أصم، وحفر القبور فيها بمشقة زائدة. وجاء في الإنس الجليل أيضاً كما يذكر البيان –أن الشيخ محمد بن الجوز توفي بعد 800 هجرية، ودفن بماملا قبلي البركة بالقرب من باب القلندرية....".[30] وقد تحدث خليل الظاهري (872هـ/1467م) عن القدس، وأسواقها، وفضائلها الجّمه وقال بأن "....بضواحيها عين سلوان، والطور، ورابعة العدوية، وقبر السيدة مريم، وقبور الشهداء، وخان الظاهر، والزاوية القلندرية..."[31] لكنه لم يأت على ذكر أية تفصيلات حولها أو صلتها بمقبرة ماملا.

وفي معرض حديثه عن حوش القلندرية، فقد ذكر حمد يوسف، أن الزاوية القلندرية تقع فعلاً في وسط المقبرة، وأن "....الست طنشق المظفرية قامت بتعمير حوش القلندرية، ثم عمّرت في الزاوية القلندرية قبة محكمة على قبر أخيها بهادر سنة 794هـ/1391م وهي لا زالت موجودة....".[32] ويؤكد هايل صندوقه على نسبة الزاوية إلى الشيخ إبراهيم القلندري الذي أقام بالزاوية مع جماعة من الفقراء الصوفية، ويذكر عدداً من الأعيان المدفونين فيها ومنهم "....شيخ الإسلام شمس الدين محمد إسماعيل القرقشندي المتوفى(809هـ) والأمير ناصر الدين محمد بن الهمام ناظر الحرمين الشريفين المتوفى(876هـ)، والأمير دقماق الإينالي نائب القدس زمن السلطان فايتباي المتوفى(877هـ)....".[33]

وقد أثار الباحث بشير بركات في كتابه "مباحث في التاريخ المقدسي الحديث/ج1" الخصومة التي وقعت بين عدد من الشخصيات المقدسية والمجلس الإسلامي الأعلى، الذين ذكروا في بيانهم بعض الأمور المتعلقة بانتهاكات المجلس الإسلامي الأعلى لمقبرة ماملا أو"مأمن الله" وبعض الآثار الإسلامية من مساجد وجوامع وغيرها، حيث قال بأن الخصوم قد وجهوا بياناً إلى أعضاء المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس عام 1350هـ/1932م، تضمن فقرة حول" فندق بالاس" الذي أحدثه المجلس الإسلامي وبنى قسماً منه من الإعانات التي أرسلت إلى المجلس، والذي تؤمه الوفود الإسلامية (آنذاك)، وقد شيّد هذا الفندق على جماجم المجاهدين، ويعرف المكان الذي شيّد عليه "بالمقبرة القلندرية" وهو جزء من مقبرة مأمن الله. وقد ردّ المجلس على الخصوم بقوله: إن المكان الذي بني

(30) بيان إلى العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: 23.
(31) المصدر سابق، ص: 23.
(32) من آثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس، مصدر سابق، ص: 420.
(33) هايل صندوقه، مقالة، مصدر سابق.

عليه الفندق كان مربطاً لخيول السياح، وكانت تقام فيه ملاعب الوحوش والحيوانات وكرة القدم، ولم يكن بمقبرة فيها قبور، وأنه تم تأجيره بالمزاد العلني بسبعة آلاف وثلاثمائة جنيه فلسطيني، وهو موقوف على المسجد الأقصى. وبدورهم ردّ الخصوم على المجلس بأن "القلندرية" جزءاً لا يتجزأ من المقبرة (مأمن الله)، واتهموا المجلس بأنه هو الذي استعملها ملعباً للوحوش، لا دولة الخلافة، وذلك بعد أن أجرّها في العام 1924م مسيحية لمدة أسبوعين لسرك الوحوش الذي قدم إلى القدس.[34]

ومهما يكن من أمر هذه الزاوية، فإن الثابت هو أن "القلندرية" كانت تقع في وسط مقبرة(ماملا)، وأنها لا زالت موجودة، وقد ضمّت رفات عدد من كبار الأعيان والأمراء والمجاهدين، وبذلك فهي معلماً أساسيا من معالم تلك المقبرة المقدسية.

3.3.1- الزاوية (القبة) الكبكية:

ذكرها صاحب الأنس الجليل بقوله "....وبمقبرة ماملا قبّة محكمة البناء، تعرف بالكبكية، نسبتها للأمير

(34) بشير بركات، مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، ص: 69، 70، 71.

علاء الدين آيدْغدي ابن عبد الله الكبكي المدفون فيها، وفاته في اليوم الخميس خامس شهر شعبان، سنة 688هـ–1289م....".[35] ويقول حمد يوسف عن الزاوية الكبكية أنها قبّة محكمة البناء، بعض المؤرخين اعتبرها تربة، أما برشام فاعتبرها كزاوية، لكن لم تعرف لأية طريقة منسوبة. تلفظ وتكتب عند بعض الناس بالقبقية واللفظين كبكية وقبقية مأخوذ بهما عند الناس....".[36]

واعترف بأنني عزمت على أن أقدم وصفاً للقبة من الناحية الشمالية، حيث يقع بابها الرئيسي، وقمت بالتقاط صور فوتوغرافية له، ومنعاً للتكرار فإنني أحيل القارئ إلى ما كتبه الأستاذ الأنصاري في كتابه (مقبرة مأمن الله – ماملا) في الصفحة 59، لما فيه من وصف دقيق لمكونات وزخارف وأعمدة الباب، والقوس الحجري المقبّب، وغيرها من أشكال الزخرف والجمال المعماري الإسلامي.

وقد أسعفتني التقنيات الحديثة في قراءة اللوحة الرخامية الموجودة فوق مدخل القبة، والمكونة من خمسة أسطر بخط نسخ مملوكي قديم، بعد التقاط عدد من الصور لها، ومعالجتها على جهاز الحاسوب، فوجدت أن الاستاذ الأنصاري لم ينتبه إلى تاريخ اليوم الذي توفي فيه الكبكي حيث قال بأنه (توفي يوم الخميس من شهر رمضان– إلخ) وهذا صحيح، لكن هذا اليوم هو اليوم (الخامس) من شهر رمضان، وعليه، فإن نص اللوحة هو كالآتي:

1. بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد وآله
2. هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير علاء
3. الدين أيدغدي ابن عبد الله المعروف بالكبكي توفي
4. يوم الخميس الخامس من شهر رمضان المعظم سنة
5. ثمانية وثمانين وستماية تغمده الله برحمته واسكنه جنته

(35) مجير الدين- مصدر سابق، ص: 414.
(36) من آثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس، مصدر سابق، ص: 420.

كما لا يفوتني أن أنوّه إلى أن صاحب الأنس الجليل قد حدّد تاريخ اليوم الذي توفي فيه الكبكي (كما هو مبين في بداية حديثي عن القبة الكبكية)، حيث قال "...وفاته في اليوم الخميس خامس شهر شعبان....إلخ"، لكنه أخطأ في تحديد الشهر فذكر (شعبان) والصحيح كما هو مبين في النص اعلاه (يوم الخميس من شهر رمضان....).

وقد اعتبرها صندوقه (تربة)، وقال بأن فيها قبّة محكمة البناء، تنسب إلى الأمير علاء الدين آيدغدي عبد الله الكبكي المدفون فيها عام (688هـ). وزاد على ما ذكره مجير الدين بأن الكبكي توفي زمن الظاهر بيبرس، ثم أقام في القدس وأصبح ناظر الحرمين....[37]

إن معاينة هذا البناء، وزيارته على أرض الواقع، يؤكد على أن الحديث هنا يدور حول (تربة) وليس زاوية، تقع في مقبرة ماملا ببيت المقدس، وأن الأمير علاء الدين الكبكي المنسوبة إليه قد دفن في القبر الذي يتوسط القبة.

ونجد الباحث فهمي الانصاري يتوقف عند التسمية، ويرجّح بأن البناء عبارة عن (تربة)، مستشهداً بما هو مكتوب على اللوحة الرخامية المثبتة فوق مدخل القبة من الجهة الشمالية "...هذه تربة العبد الفقير..."، كما ذهب إلى أنه لم يسمع بزاوية تسمى بالكبكية، أو إلى أية طريقة صوفية يمكن نسبتها. وهو في ذلك محق، خاصة لمن قام بزيارة مقبرة ماملا، والتجول في أرجائها، حيث تطلّ عليه تلك القبة، كمعلم بارز من معالم المقبرة التاريخية، فإذا ما وصل إليها من الناحية الجنوبية، فإنه يجد نفسه أمام بناء يغلب عليه الطابع المعماري المملوكي، مربع الأضلاع فيه استطالة إلى الأعلى، وتعلوه قبة بنيت بعناية فائقة، فوق رقبة حجرية دائرية الشكل، وفي تلك الناحية (الجنوبية) من البناء، شباكان متجاوران ارتفاع كل منهما متر وبعرض 58سم، وعليهما حماية حديدية، وقد ثبّتت على الشباك الأيمن، يافطة حديثة العهد، كتب عليها بالعبرية والعربية في سبعة أسطر النصّ التالي:

1. ووولة إسرائيل

(37) اشتملت نيابة القدس زمن المماليك على عدة ولايات لها مكانتها هي: الرملة ونابلس والخليل. ولارتباس بالخليل دينياً، فقد ولي نائب القدس أحياناً نظارة الحرمين الشريفين (في القدس والخليل). وقد جاءالأالألأد لألألألاً في الأهمية، منصب مشيخة المدرسة الصلاحية، حيث غدت مشيختها من الوظائف السنية في السلطة المملوكية، تتم عادة بمرسوم يصدر عن السلطان في القاهرة.

2. مكان محمي
3. الرجاء المحافظة
4. على نظافة المكان
5. الرجاء عدم إدخال حيوانات
6. ومشروبات روحية إلى
7. المكان.

وعلى مسافة حوالي المتر ونصف، من الزاوية اليمنى (الشرقية) لواجهة القبة الجنوبية، يوجد قبر واحد، تبدو عليه الفخامة، مكون من طبقات ثلاث، تتدرج إلى الأعلى بشكل هرمي، ولا يوجد ما يدّل على صاحبه. وأما في ناحية الواجهة الغربية للبناء (القبة) فيوجد شباك (ارتفاعه متر وبعرض 58سم)، مثبت عليه حماية حديدية، يمكن من خلالها مشاهدة ضريح الأمير علاء الدين المعروف بالكبكي، وهو بحال متهالكة، وبحاجة ماسّة إلى الترميم، ويخلو من أية كتابات، ويقع تحت القبة مباشرة، يقابله في الجهة الشرقية شباك مغلق، وفي قسمه القبلي محراب. وبالقرب من الناحتين الغربية والغربية الجنوبية للقبة، يوجد أربعة قبور لا يعرف على وجه الدقة من تضم في باطنها، سوى ما ذكره صاحب الأنس الجليل من أن المدفونين بجوار الكبكية هم:

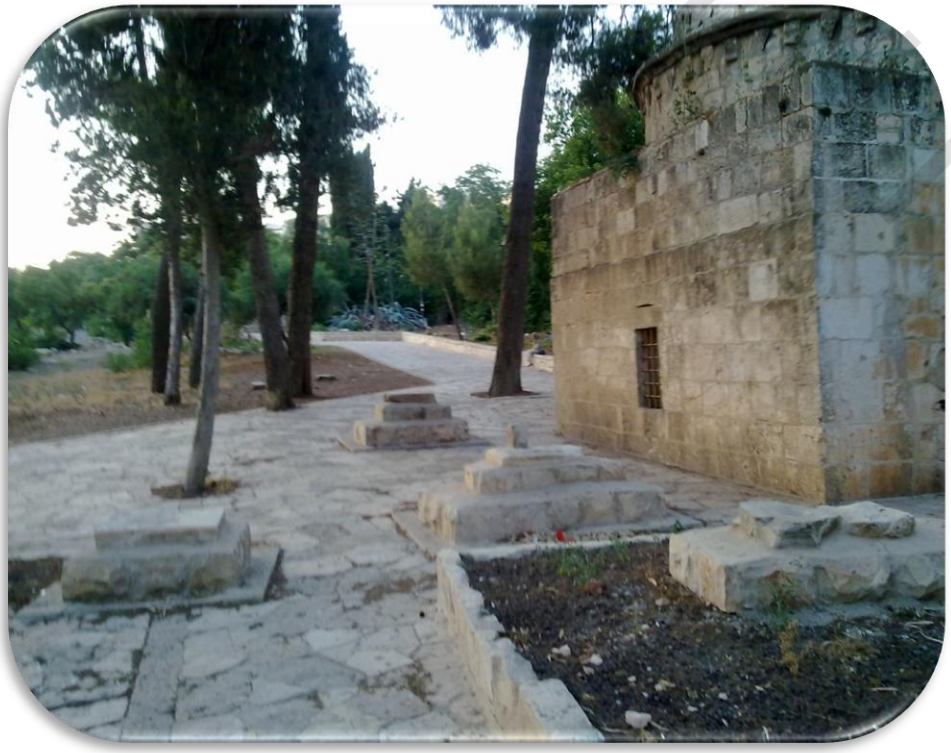

1. **عمر بن ابراهيم عثمان بن كعب الواسطي المتوفى سنة 684هـ.**
2. **ابراهيم بن محمد بن احمد بن محمود بن محمد العقيلي، المتوفى سنة 722هـ.**
3. **ابراهيم بن علي الخزرجي الحنفي، المتوفى سنة 852هـ.**

4.3.1- الزاوية وحوش البسطامية:

قال عنها صاحب الأنس الجليل أنها تقع "...سفل صحن الصخرة من جهة الشرق، عند الزيتون. وهي مكان مأنوس كان يجتمع فيه الفقراء البسطامية لذكر الله تعالى. وقد سُدّ بابها في عصرنا....".[38] ويذكر عارف العارف في المفصّل في تاريخ القدس أن "الزاوية البسطامية" تقع في حارة المشارقة، وأن واقفها الشيخ عبد الله البسطامي، وكانت الزاوية موجودة قبل 770هـ/1368م. وحول موقع تلك الزاوية تحديداً يقول حمد يوسف أن "....صاحب كتاب معاهد العلم، ونقلاً عن سجل الأراضي باستانبول أنها (أي الزاوية البسطامية)، تقع في حارة بني زيد، وهي حارة مجاورة لحارة المشارقة ولحارة حطّة التي تشكل حارة المشارقة جزءاً منها اليوم. ويضيف قائلاً، إن السجل الشرعي المقدسي يذكر خط زاوية البسطامية بمحلة باب العمود. وجاء في السجل الشرعي بأن هذا الخط يصل بين حارة المشارقة وباب العامود. ووقف هذه الزاوية الشيخ عبد الله بن خليل بن علي الأسد أبادي البسطامي، وكانت الزاوية البسطامية موجودة قبل سنة 770هـ. وتوفي البسطامي في بيت المقدس سنة 794هـ/1391م، ودفن في حوش البسطامية بمقبرة ماملا....".[39]

وكما هو واضح فإن المعلومات الواردة أعلاه، تدل على وجود زاويتين: إحداهما، شرقي صحن مسجد قبة الصخرة المشرفة، والثانية، في حارة المشارقة. أما "حوش البسطامية" فهو مدفن لفقراء هذه الطريقة – كما يقول الاستاذ هايل صندوقه– حيث أكدّ على أن آثار هذا الحوش قد اندثرت، ولم يبق فيه سوى قبر الشيخ علي العسقي البسطامي[40] المعروف بمرشد السالكين، وهو في أقصى المقبرة (ماملا) من الشمال. ومن بعض من دفن في الحوش: الشيخ عبد الله بن خليل الأسد ابادي البسطامي، مؤسس الزاوية البسطامية في القدس والمتوفى(794هـ)، والشيخ تقي الدين الطولوني المتوفى(843هـ)، والشيخ شمس الدين محمد الجلجولي قاضي جلجولية المتوفى(878هـ)، والشيخ عمر المصمودي مؤسس زاوية المغاربة في القدس والمتوفى(703هـ).

ولن لا يعرف الشيخ عمر "...فهو عمر بن عبد الله عبد النبي المغربي المصمودي المجّرد، وكانت الزاوية التي أقامها تقع بأعلى حارة المغاربة من الجهة الشمالية الغربية. أنشأها الشيخ من ماله الخاص، ووقفها على الفقراء

---

(38) مجير الدين، مصدر سابق، ص: 376.
(39) من آثارنا العربية والإسلامية، مصدر سابق، ص: 304.
(40) هو الإيخ الإمام العالم العامل الصالح القدوة الزاهد ولي الله الشيخ العسقهو ،ي البسطامي شيخ البسطامية بالقدس. كان من الاولياء المشهورين توفى سنة 761هـ ودفن بالبسطامية بماملا. (ذكره مجير الدين والدباغ).

والمساكين من المغاربة بتاريخ 3 ربيع الآخر سنة(703هـ/1303م)، وتتكون من عشر غرف، وأوقف ثلاثة دور تصرف عليها".[41]

5.3.1- المغارة (مغارة ماملا):

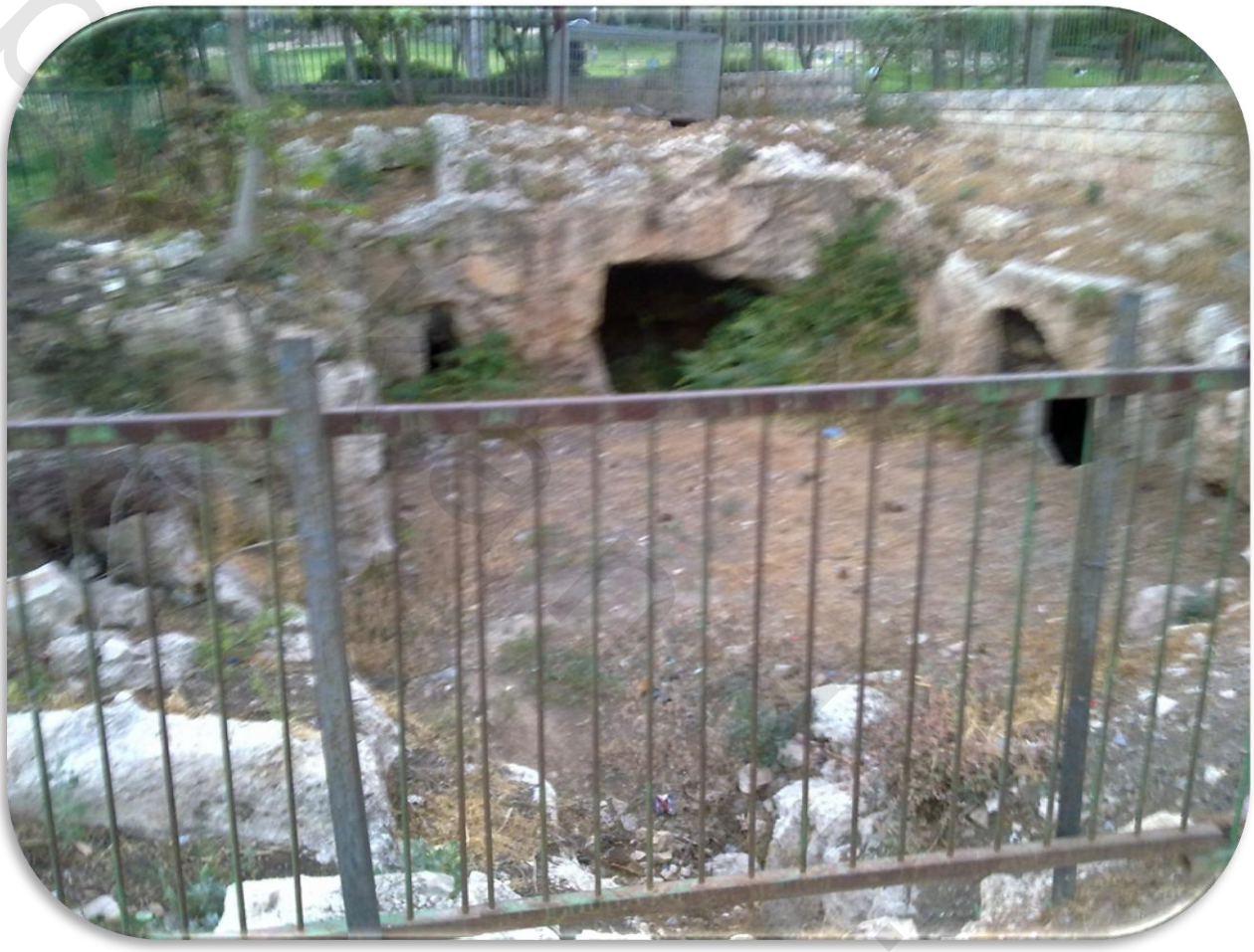

عرفت هذه المغارة بالتواتر والتوارث من جيل لآخر، بأن رؤوس أو جثث ما يقارب من سبعين ألف مسلم قتلهم الصليبيون بعد احتلالهم لبيت المقدس عام 492هـ/1099م، قد تم القاؤها في هذه المغارة، ويؤيد ذلك العديد من الكتّاب والباحثين في تاريخ هذه الديار. وجدير بالذكر هنا، أن هذه الروايات في أغلبها اعتمدت على النقل من مصادر سابقة، وأن قلة فقط من الباحثين قد تناولوا هذا الموضوع بعد قيامهم بزيارة المقبرة، والاطلاع على ماهية

(41) محمد بحيص عرامين وناصر الرفاعي، المغاربة وحائط البراق الشريف، ص: 102.

تلك المغارة، والوقوف على موقعها وشكلها، وما إذا كانت منحوتة في الصخر أم خلاف ذلك، ناهيك عن مساحتها، والتغيرات التي طرأت عليها خلال قرن من الزمان على أقل تعديل، سيما وأن مسلسل الاعتداءات على مقبرة (ماملا) قد بدأت تتضح معالمه في أواخر الحكم العثماني بعد أن اعترى دولة الخلافة الضعف والانقسام. وقد تسارعت وتيرة تلك الاعتداءات بداية القرن العشرين، خاصة بعد سقوط فلسطين بيد المحتل البريطاني، حيث بدأت ملامح المخطط الصهيوني بالسيطرة على البلاد يطلّ برأسه برعاية ودعم وحماية بريطانيا الاستعمارية. وللحقيقة فإن الموضوعية تتطلب منا أن نعترف ونقّر بأن الاعتداءات لم تقتصر على الغزاة والغرباء المحتلين، رغم أن حصّتهم في هذا الأمر كانت ولا زالت حصة الأسد، بل أن قوى محلية، بعضها مدعوم من شخصيات محلية متنفذة، بعضها مدفوع بإطماع شخصية ذات علاقة بجمع الثروة، والبعض الآخر، جاء بموافقة مؤسسات دينية فاعلة، وفي مقدمتها المجلس الإسلامي الأعلى. وليس أدلّ على ذلك من قرار الأخير بمنع الدفن في المقبرة لأسباب أقل ما يقال فيها أنها غير مقنعة، أو أنها تخفي وراءها ما تخفي من نوايا، الله اعلم بها، وأحيل القارئ هنا إلى ما جاء في بيان إلى العالم الإسلامي في العام 1932م.

لقد امتزجت الحقائق التاريخية بالمثيولوجيا الشعبية، وتداخلت إلى حد أنها أنتجت مسميات متعددة للمغارة من مثل "مغارة الجماجم" و "مغارة الشهداء" كما حُمّلت النصوص أكثر مما تحتمل، ما دفع البعض إلى الادعاء بأن القائد صلاح الدين قد أمر بوضع سياج حول المغارة –وقد يكون ذلك صحيحاً– ولكن أن يجعل عليها "مصلى"، فإن ذلك مستبعداً، على الأقل من الزاوية الدينية، ومن رجل بوزن ورجاحة عقل القائد صلاح الدين الأيوبي. وأنا اتفق هنا مع ما ذهب إليه الأستاذ فهمي الأنصاري بهذا الخصوص وذلك بتحكيم العقل والمنطق.

ولمعاينة المقبرة بكل معالمها المتبقية على أرض الواقع، فقد قمت بزيارتها ثلاث مرات؛ كان آخرها يوم الأحد 17/حزيران/2012م، حيث كرسّت هذه الزيارة لمعاينة "المغارة"، والجانب الغربي من المقبرة. فيما كانت زيارتي الأولى لتوثيق الجانب الشرقي، والقبة الكبكية وذلك في يوم الأثنين 11/حزيران/2012م، وخصّصت الزيارة الثانية يوم الجمعة 15/حزيران/2012 للاطلاع على البركة وحالة القبور في وسط المقبرة وشمالها.

تقع ما يعرف بالمغارة "المقصودة بالزيارة" في الجانب الغربي من المقبرة، وتميل قليلاً إلى ناحية الشمال، فوق تلة مرتفعة، حيث جعلت الآن جزءاً من معالم الحديقة التي أصبحت تعرف بحديقة "الاستقلال" والتي اقيمت على أرض المقبرة. وتتكون" المغارة"، وهي في واقع الأمر عدة مغائر، من حفرتين عميقتين محاطتان بأسيجة

حديدية بارتفاع حوالي المتر ونصف، وبجدار حجري من الناحيتين الشمالية والغربية على وجه الدقة (يبيّن الرسم التالي الحفرتين وموقعهما بالنسبة للتلّة).

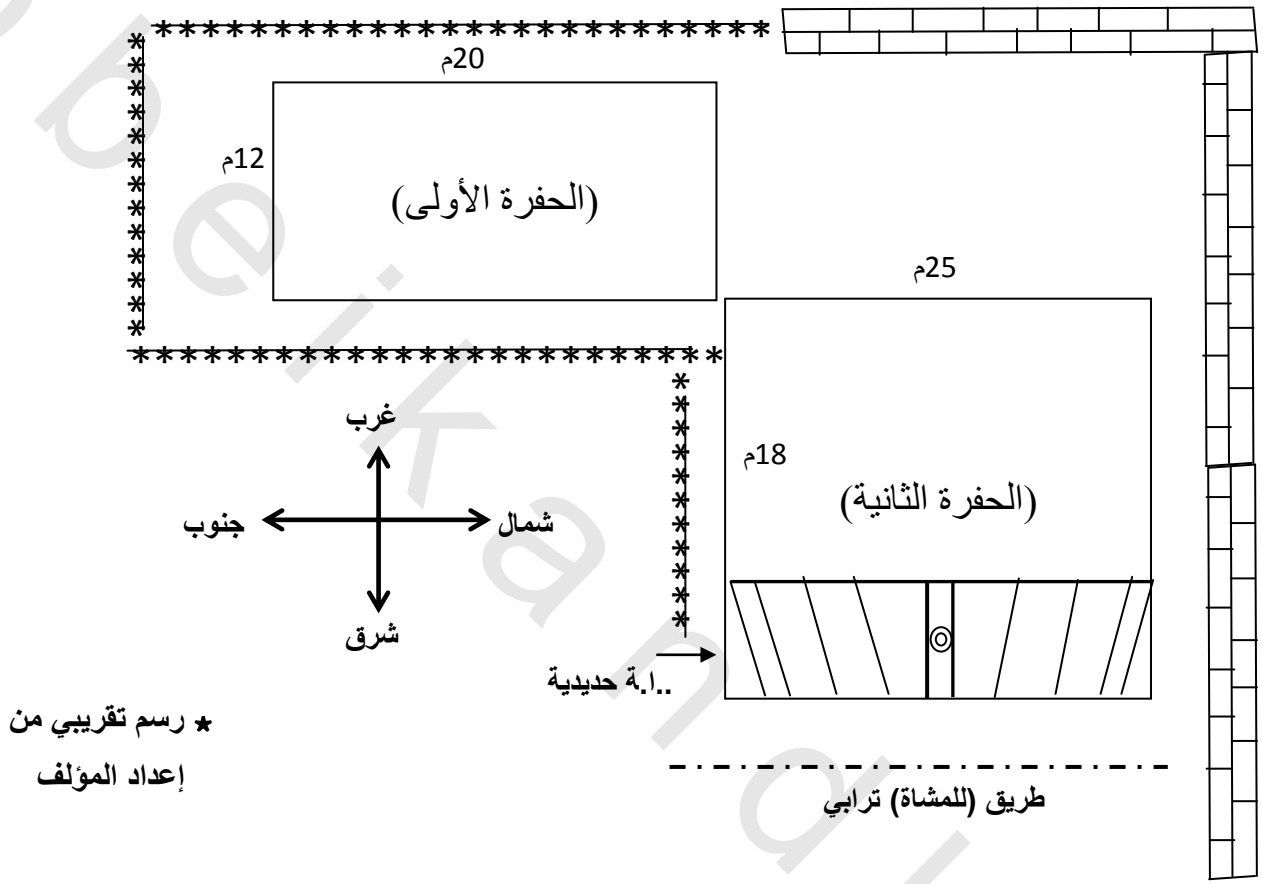

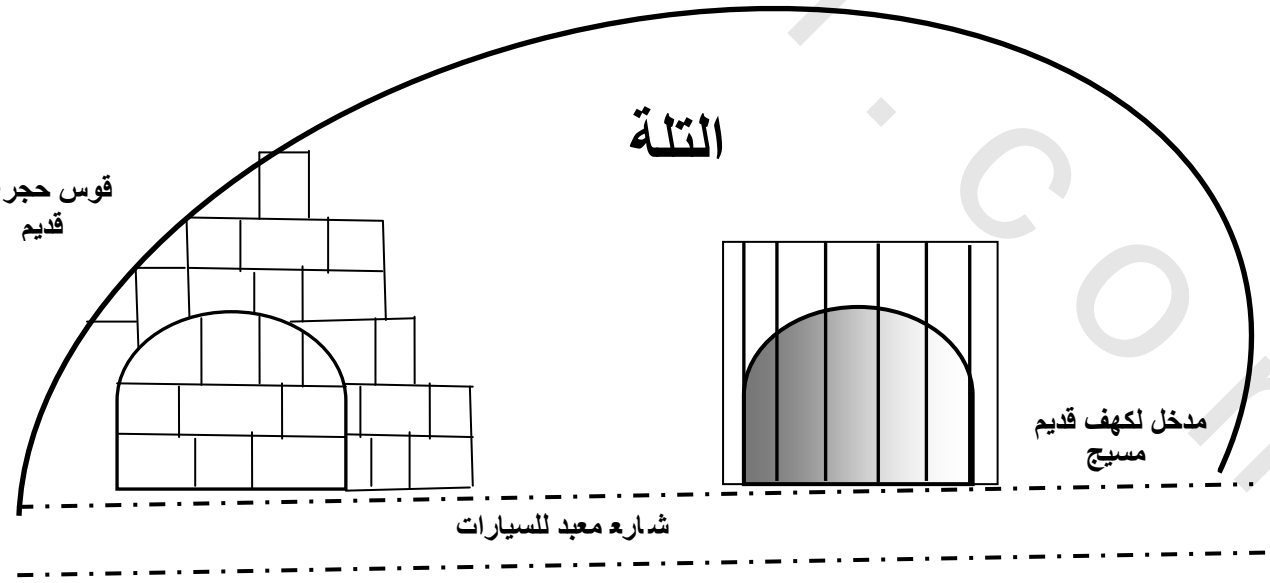

obeikandl.com

وكما هو موضح بالرسم وبالصور الفوتوغرافية، فالحفرة الأولى مستطيلة الشكل، بطول حوالي 20م وبعرض 12م وبعمق من 4-5 أمتار، وهي منحوتة بالصخر وتبدو في جوانبها فتحات لمغائر منحوتة بصورة دقيقة، غير أنها مليئة بالأتربة والقاذورات والأعشاب البرية ما يحول دون معرفة ما بداخلها.

وأما الحفرة الثانية، فهي أيضاً مستطيلة الشكل، لكنها أوسع وأكبر من الأولى، وتقدر قياساتها بـ25م من الشمال إلى الجنوب، و18متراً من الشرق إلى الغرب، وبعمق ايضاً بين 4-5 أمتار. ويظهر في واجهتها الغربية مدخلاً مربعاً لكهف روماني منحوت في الصخر، قياس فتحته حوالي 3×3 أمتار، ويصعب رؤية ما بداخله لامتلائه بالأتربة والحجارة.

وهذه الحفرة محفورة بالصخر، كما أسلفنا، من ثلاثة اتجاهات (الغربية

والشمالية والجنوبية)، وأما الشرقية فهي مفتوحة على طريق ترابية يمكن لسالكيها النظر إلى الحفرة من البوابة الحديدية العريضة.

وبخلاف الحفرة الأولى، فإن ما يميزّ الحفرة الثانية هو وضوح معالمها، ففي المقطع الصخري الغربي، كما أسلفنا، فتحة كبيرة لكهف (مغارة) رومانية، أما في المقطع الصخري الشمالي، فهناك فتحتان دائريتان لكهفين (أو بئرين) بقطر مترين ونصف المتر لكل منهما. وفي الزاوية الشمالية الشرقية وبالقرب من البوابات الحديدية، تظهر فتحه كهف (أو ربما بئر) بقطر مترين تقريباً، وجميعها مليئة بالأتربة ويصعب رؤية ما بداخلها، وكذا الأمر بالنسبة لأرضية الحفرة فهناك تجمّع لأتربة وأعشاب برية تغطيها تماماً، ويصعب معها كذلك معرفة ما إذا كانت تحتوي على آبار أو كهوف أو خلاف ذلك. وإلى الشرق قليلاً تقع التلةّ التي ترتفع عن الشارع وبحوالي 5–6 أمتار والذي يفصلها عن البركة والقبور الواقعة في طرفها الغربي. وفي أسفل التلة يمكن رؤية فتحة واسعة

لكهف أو مغارة مغلقة بالأتربة والحصى ومحمّية ببوابة حديدية. فإذا ما صحّ الافتراض بأن المغائر كانت تستخدم قديماً كآبار لجمع مياه الأمطار (قبل ان تصبح مدفناً)، فإن الفتحة المغلقة أسفل التلة إلى جهة الشمال منها هي المخرج الرئيسي للمياه والمؤدي إلى البركة (بركة ماملا)، والتي لا تبعد عنها سوى مسافة مئة متر على وجه التقدير. وهذا ما خلص إليه الأستاذ الأنصاري حيث قال إنه "...من المهم جداً، أن نصرّح أننا بعد زيارتنا لماملا، وبالذات للمغارة التي هناك، رأينا هذه المغارة على سعتها ونحتها ومنافذها ومداخلها، أشبه ما تكون بخزان ماء كبير، يزيد مسطحه عن دونم (1000م^2) وبارتفاع ما يقارب الستة أمتار، ومن هنا ربما يكون هذا الوضع الذي دعي بالمغارة، المقصودة بالزيارة أو مغارة الشهداء، أو مغارة الجماجم، هي البركة العتيقة التي

ورد ذكرها في نبوءة أشعيا. نقول هذا، بالنظر إلى بركة ماملا التي هي بخلاف ما وصفها صاحب (أجدادنا)... من أنها منحوتة في الصخر...".[42]

6.3.1- بناية الأوقاف الإسلامية:

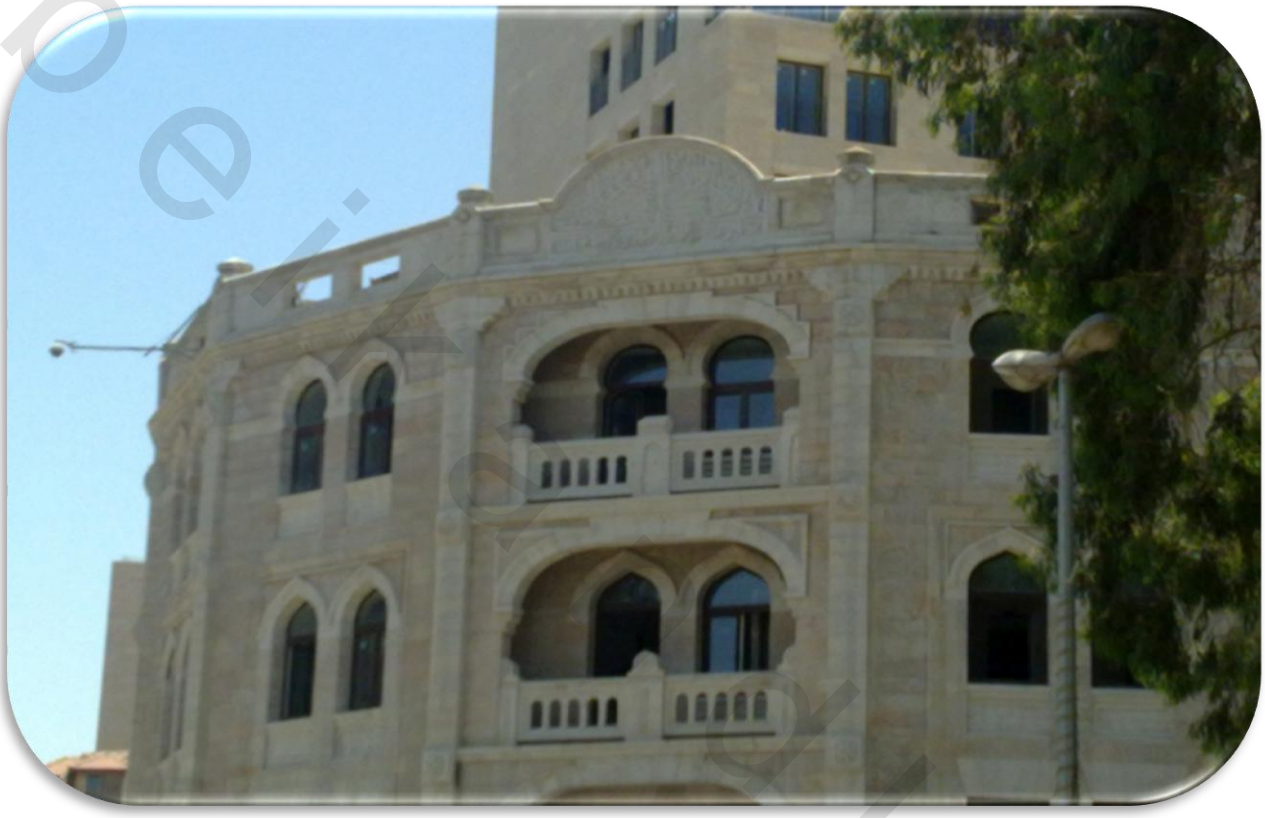

عرفت هذه البناية كذلك باسم (فندق بالاس)، حيث شّيدت من قبل المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1929م/1348هـ، كما يظهر على اللوحة الرخامية المثبتة فوق المدخل الرئيسي للعمارة، والتي حفر عليها بخط جميل بيتاً من الشعر:

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

سنة 1348، بنى هذا النزل المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين سنة 1929

(42) مقبرة مأمن الله، مصدر سابق، ص:75.

أقيمت تلك البناية (فندق بالاس) في الناحية الجنوبية من مقبرة ماملا وهي "...من أجمل المباني التي شّيدت في القدس خلال الاحتلال البريطاني، وقد احتوت على 140 غرفة، وتم تزويدها بمصعد كهربائي وتدفئه مركزية. وكان فندقاً من الدرجة الأولى، بل أنه أصبح أشهر فنادق القدس حيث نزل به كبار الزائرين في حينه...".[43]

وحيث أن فكرة أنشاء هذا البناء الفخم كانت ومنذ التأسيس تهدف إلى زيادة واردات الأوقاف الإسلامية، فقد جرى الاعتماد على أموال صندوق إعانة تعميرات الحرم الشريف بمبلغ خمسة آلاف جنيه، كما يظهر في الوثائق والمراسلات الخاصة بذلك، وتخصيص جزء من أرض المقبرة لإقامة هذا البناء عليه، الأمر الذي أثار جدلاً واسعاً في أوساط خصوم المجلس الإسلامي الذين سارعوا إلى كتابة بيان سمي "بيان إلى العالم الإسلامي عن الأماكن المقدسة في فلسطين" مستغلين انعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس عام 1932م، مما قاد إلى الرد على هذا البيان لدحض ما جاء فيه من "تخرصّات المضللين المرجفين" كما جاء في رد المجلس الإسلامي الأعلى، معتبرين ذلك تشويهاً لسمعة المجلس، مع تأكيدهم على عدم الاعتداء على أرض المقبرة، متسلحين بفتاوى لبعض من علماء المسلمين لإثبات ما ذهبوا إليه. ولم يكتف "الخصوم" بالردود التي جاءت على لسان سكرتير المجلس الإسلامي الأعلى، سعد الدين الخطيب والذي جرى نشره في جريدة الجامعة العربية التي كانت تصدر في القدس في عددها 738 المؤرخ في شعبان 1350هـ، فقاموا بصياغة ردّ أطلقوا عليه "جوابنا الأخير على رد المجلس الإسلامي الأعلى"، وهذه المرة أرفقوا ردّهم هذا بمجموعة من الصور (الرسومات) وعددها (10) وذلك لإثبات صحة الدعاوى الواردة في بيانهم الأول. وللتأكيد على أن الأرض التي اقيمت عليها بناية الأوقاف (فندق بالاس) هي أرض تابعة للمقبرة، استندوا إلى ما جاء في الانس الجليل من أن "...الشيخ محمد بن أبي الجوز توفي في 800 هجرية ودفن في ماملا قبلي البركة بالقرب من باب القلندرية"[44] وأتوا على ذكر 120 من "العلماء والأولياء والصالحين" ممن دفنوا في مقبرة ماملا (مأمن الله).

وبعد سقوط الشطر الغربي من القدس في أيدي الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م، استخدم هذا البناء كمقر لدائرة الزراعة ودائرة الإحصاء الإسرائيليتين، وذلك قبل أن تبدأ موخراً عملية هدم كامل المبنى مع الإبقاء على واجهته الرئيسية المحاذية للشارع الفاصل الآن بين المقبرة والأبنية المشيدّة جنوبها، ومن ضمنها بناية الأوقاف موضوع حديثنا، وسيتم افتتاحه قريباً كفندق سياحي فخم لروعة وجمال واجهته، باعتبارها من روائع الفن

(43) بشير بركات، مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، ج1، ص:69.
(44) بيان إلى العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص: 23.

المعماري الإسلامي، وذلك لعجز المعمار الدخيل عن تشييد ما يضاهيها، كما لم تتم إزالة اللوحة الرخامية أعلى المدخل الرئيسي للبناية. وقد شاهدت ذلك في زياراتي المتكررة للمقبرة بين 11–17/حزيران/2012م، وقمت بالتقاط عدة صور فوتوغرافية من أماكن و زوايا مختلفة للبناية بعد تحديثها.

وقد اشتهرت هذه البناية باحتضانها المعرض العربي الأول والثاني، بعد أن تبنت الهيئة القائمة على المعارض "...فكرة تأسيس معرض عربي دائم لعرض المصنوعات والمنتوجات العربية، وإمداد الاسواق التجارية بها، وتعويد الوطنين على استعمالها، والعمل على تشجيع الأغنياء المثرين على الإكثار من المصانع والمعامل التي تحتاجها البلاد، وتوثيق الروابط الاقتصادية والأدبية بين الأقطار الناطقة بالضاد...".[45] وقد شغل أحمد حلمي باشا رئاسة مجلس إدارة شركة المعرض العربي الأول والثاني، وضم المجلس في عضويته عدداً من الشخصيات المعروفة آنذاك وهم: الحاج يوسف افندي عاشور،حمدي بك النابلسي، عمر افندي البيطار، يعقوب بك الغصين، يوسف افندي طالب، حسن افندي عرفه، فرنسيس افندي جلاد، الشيخ محمود افندي الداوودي، عيسى افندي العيسى، عزيز بك ميقاتي، عطا افندي الشوا، جورج افندي صباغه، الحاج طاهر افندي قرمان، ويوسف افندي ضيا الدجاني.

افتتح المعرض العربي الثاني في 22 ذي الحجة سنة 1352هـ الموافق 6 نيسان (أبريل) سنة 1934م، في بناية الأوقاف الإسلامية المشيدة حسب الطراز العربي البديع، في شارع مأمن الله بالقدس الشريف، واستمر مدة شهر كامل. ومن اللافت للانتباه أن اهتمام القائمين على المعرض لم يكن منصبّاً على تخصيص أماكن رحبة ومنسقة تنسيقاً جيدا للصناعات والحرف والبضائع العربية على اختلافها فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل إعداد أماكن فسيحة للعروض السينمائية والمسرحية، والطرب والغناء، إضافة إلى الملاهي ومحلات التسلية، بما في ذلك إنشاء حديقة زرعت فيها أنواع مختلفة من الزهور. وباختصار فقد أراد هذا الجيل –جيل العشرينات والثلاثينات– المعبأ بالفكر القومي وبالروح العربية، القيام بعمل حضاري يليق بعظمة العرب، يباهون به شعوب اوروبا والعالم أجمع، كما أراد أن تكون لياليه (ليالي المعرض) "..خير ليال شهدتها فلسطين، فتعيّد الأمة من نجاحها هذا أحسن عيد...".[46] ولا يخفى على أحد، أن هذا الكلام تخبئ في ثناياه الخشية من ضياع

(45) دليل المعرض العربي الثاني بالقدس، ص: 1.
(46) المصدر السابق، ص: 2.

الأوطان في ظل هجمة استعمارية شرسة، طالت فلسطين والاقطار العربية الأخرى بداية القرن العشرين، وخاصة الأطماع الصهيونية في فلسطين . ومما يدلّ على صحة هذا الاستنتاج هو ما احتوت عليه تلك النشرة (الدليل) من شروحات موجزة في تاريخ عدد من البلدان العربية تحت عنوان (جزيرة العرب– كلمة موجزة في تاريخها)، شملت أول ما شملت فلسطين، ومن ثم شرق الاردن، ولبنان، وسوريا الداخلية، والعراق، ونجد والحجاز، واليمن وأخيراً مصر. وهذا الأمر غير مألوف في مثل تلك النشرات أو الأدلة لولا أن الظروف القائمة كانت تؤشر إلى وجود خطر محدق بالبلاد.

ومن المعلومات الطريفة التي وردت في النشرة تحت عنوان (رسوم الاشتراك)، هو مثلاً إرفاق طلب الاشتراك في المعرض بجنيه فلسطيني واحد، وأن أجور المحال التي يحجزها العارضون بلغت من نصف جنيه إلى جنيهين للمتر المربع، وذلك بحسب أهمية المكان وموقعه، كما أعفيت معروضات الحكومات العربية، والجمعيات الخيرية العربية، والآثار القديمة والنفيسة من الأجور، إلا إذا تم بيعها، فإن الادارة ستتقاضى 5٪ من أثمان تلك المعروضات.[47] كما شملت النشرة تعليمات أساسية حول مسؤولية العارضين، والمياه والإنارة، والدخولية، والجوائز والشهادات، وبيع المعروضات وسحبها، والمراسلات والاستعلامات، كما خصصت إدارة المعرض طابعاً سميّ "طابع المعرض العربي الثاني".

ومما يدل على رحابة هذا البناء، وطاقته الاستيعابية العالية، هو الكم الكبير للأصناف التي عرضت في قاعاته وغرفه، حيث تم تقسيم البناء إلى معروضات الدور الأرضي، ومعروضات الدور الأول، وجناح خاص بالمعروضات المصرية. واشتمل الدور الأرضي على عرض حوالي ستين صنفاً من المصنوعات المختلفة، إضافة إلى الكتب والمخطوطات القديمة، والرسومات الزيتية وغيرها، لحوالي اثنين وستين شخصاً، أو معملاً أو شركة من سوريا ولبنان والعراق، وفلسطين. ومن اللافت أن المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس الشريف، كان أحد العارضين لبعض الآثار والتحف العربية. أما الدور الأول فقد اشتمل على عرض حوالي اثنين وأربعين صنفاً من المصنوعات المختلفة، من المنسوجات، والتحف، والملبوسات الجاهزة، والصور، والرسومات، والنحاس، والزجاج، والأحذية، والتطريز، والأدوية، ومستحضرات التجميل وغيرها، وذلك لاثنين واربعين عارضاً من فلسطين، ولبنان، وسوريا، والاردن. في حين اشتمل المعرض المصري على منتوجات أربع شركات من المحلة الكبرى،

(47) المصدر السابق، ص: 12.

ودمياط، والقاهرة، ومعروضات ومصنوعات متنوعة لثلاثة وعشرين عارضاً كلهم من العاصمة المصرية القاهرة. ومن أهم المعروضات المصرية التي جذبت اهتمام وانتباه الزّوار هي، قطع الموبيليا المزخرفة الجميلة، إضافة إلى العطور، والمصنوعات الجلدية.

4.1 مقبرة ماملا ﴿مأمن الله﴾ في المكانة والأهمية:

احتلت مقبرة ماملا ببيت المقدس، مكانة متميزة من النواحي الدينية والتاريخية والسياسية، وبما ضمّت في تربتها الطاهرة من كبار القادة والأعلام والعلماء والأعيان والمجاهدين، منذ الفتح العمري للمدينة في العام (15هـ/636م) وحتى أواخر العهد العثماني نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

ولعل أول ما اكسب تلك المقبرة قدسيتها وأهميتها، هو وقوعها في بيت المقدس، المدينة الإسلامية الثالثة التي يندب الحج إليها وشدّ الرحال بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة. فقد عرف عن كثير من سكان هذه المدينة من الزهّاد والعبّاد الصالحين، بأنهم كانوا يبدأون شعائر الحج والإحرام من القدس، كما حرص كثير من المسلمين على أداء حج إضافي إلى القدس بعد حجّهم إلى مكة المكرمة للتبرك والمجاورة والتعّبد.

فعن أبي أمامة "الباهلي" قال: قال رسول الله ﷺ: "...مَنْ حجّ واعتمر وصلى ببيت المقدس، وجاهد ورابط، فقد استكمل جميع سنتّي".[48] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أقسم ربُّنا بأربعة أجبل، فقال ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ فالتين: جبل دمشق، والزيتون: طور زيتا وهو مسجد بيت المقدس، وطور سينين: الجبل الذي كلم الله عليه موسى. والبلد الأمين: جبل مكة.

وعن أبي هريرة كذلك، أن النبيﷺ قال: "أربع من مدائن الجنة: مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس".

فقد بارك الله تعالى هذه الأرض، وهذه البقعة المشّرفة من فلسطين والشام منذ أقدم العصور، حيث أسرى بنبيه محمد ﷺ إليها تأكيداً على قدسيتها وإسلاميتها، بعد أن أكرمها بجعلها قبلة المسلمين الأولى بداية الدعوة، فقد صلى إليها الرسول والمسلمون بمكة لمدة 13 عاماً، ثم 16 شهراً بالمدينة قبل أن يتحول إلى الكعبة المشرفة

(48) محمود ابراهيم، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية، ص: 231.

بأمره تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

وقد قال أبو جعفر، احمد بن محمد النحّاس النحوي في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، **كان الأنبياء الذين كانوا بعد موسى** عليه السلام، **كانوا ببيت المقدس وما حوله، فبارك الله في تلك المواطن، بأن باعد الشرك عنها، ولهذا سمي بيت المقدس، لأنه قدّس: أي طُهّر من الشرك.**[49]

وفي حديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، **وقد ذكر أشياء من أشراط الساعة، ثم قال: يا صعصعة بن صوحان: نِعْمَ المسكنُ يومئذ بيت المقدس، وليأتيّن على الناس زمان يقول أحدهم: يا ليتني في تِبنةِ لبنِةٍ في سور بيت المقدس" ويقول صاحب العقد الفريد، ابن عبد ربه في بعض ما أورده عن القدس "...بيت المقدس مربط البراق الذي ركبه النبي** صلى الله عليه وسلم... **وباب "حطّة" التي ذكرها الله تعالى في قوله:** ﴿وقولوا حطّة﴾ **وهي قول لا إله إلا الله... وباب محمد** صلى الله عليه وسلم **وباب التوبة، وباب الرحمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه** ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾... **وفيه محراب مريم ابنة عمران... ومحراب زكريا، والّقبة التي عرج النبي** صلى الله عليه وسلم **منها إلى السماء، والقبة التي صلّى فيها النبي** صلى الله عليه وسلم **بالنبيين...، وينصب الصراط ببيت المقدس... ورفع عيسى بن مريم** عليه السلام **إلى السماء في بيت المقدس...".**[50]

وعن أهمية مقبرة (ماملا) من الزاوية التاريخية يقول عارف العارف... "أنها بلا مراء أقدم مقابر القدس عهداً، وأوسعها حجماً، وأكثرها شهرة، ولقد ساير تاريخها تاريخ المدينة. وذكر معه مراراً. ففي هذا المكان مسح سليمان ملكاً 1015 ق.م، وفيه عسكر (سنحاريب) ملك الأشوريين عندما هبط القدس 710 ق.م. وفيه ألقى الفرس بجثث القتلى من سكان المدينة عندما احتلوها 614 ب.م، وفيه دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين اثناء الفتح الاسلامي 636 ب.م، وفيه عسكر صلاح الدين يوم جاء ليسترد القدس من الصليبيين 1187 ب.م،

(49) المصدر السابق، ص: 278.
(50) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج2، ص: 298، 299، 300.

ولقد كانت ولا تزال في ايدي المسلمين منذ قرون، يجلّونها إجلالاً منقطع النظير، ذلك لأنها تعج بالعدد الوفير من الصحابة والمجاهدين والعلماء والأقطاب الصالحين...".[51]

وأما عن الأحاديث النبوية التي رويت عن قداسة الدفن في القدس عامة وفي مقبرة (ماملا) على وجه الخصوص، فقد اجمع العلماء على قبول بعضها على الأقل، واعتبروا البعض منها ليس بالثقة أو بالمتين. وفي ذلك ما ورد على لسان خليد بن دعلج حيث قال: "...سمعت الحسن يقول: من دفن في زيتون الملّة، فكأنما دفن في سماء الدنيا، قال خليد: فما عرفت الملّة حتى قدمت بيت المقدس..." وخليد هذا: نزل القدس بعد الموصل، ضعفه ابن معين، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم صالح، ليس بالمتين....".[52]

وفي ذات السياق وذات المعنى تقريباً، ما ورد على لسان أبي هريرة ﷺ في قوله "...من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء". وفي ذلك دلالة واضحة على قدسية المدينة، وطهارة تربتها والدفن في ثراها، دون تحديد لتربة أو لمقبرة بعينها. ومن المؤكد أن علوّ وسموّ مكانة الموت والدفن في المدينة المقدسة، يرجع كذلك إلى حقيقة ارتباط المدينة بعد زيارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بجمع من أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين، الذين أقاموا ودفنوا فيها، أو قاموا بزيارتها، وفي أنها ضمّت بعد ذلك عدداً كبيراً من جثامين الشهداء والمجاهدين وأهل العلم والأتقياء ممن دفنوا في ثرى هذه المدينة المقدسة منذ الفتح العمري وحتى يومنا الحاضر.

ولعل ما ورد عن وفاة (ابن جماعة)، ما يعكس رغبة الكثير من العلماء والقضاة والشيوخ في أن يدفنوا ببيت المقدس. وابن جماعة هو الشيخ العلامة الخطيب برهان الدين بن جماعة الكناني الحموي المولد، الشافعي من ولد مالك بن كنانة، ولد في حماه، وانتقل إلى دمشق، ثم نزل القدس عام 675هـ (مستصحباً معه كفنه) لرغبته في الموت فيها، ثم ما لبث أن توفي في نفس السنة ودفن في (ماملاً). ويعرف أعقاب هذه الأسرة اليوم (بآل الخطيب). ومما يدعم ما ذهبنا إليه في سبب تعظيم مكانة مقبرة (ماملا)، ومقابر القدس عموماً، ما ذكره صاحب الأنس الجليل في أهميتها بقوله: "فيها خلق من الأعيان والعلماء والصالحين والشهداء". لهذه الأسباب ولارتباطها بالتاريخ الإسلامي، باعتبارها أقدم المقابر في بيت المقدس، وأكبرها منذ الفتح العمري، فالعصرين الأموي والعباسي، ومروراً بالأيوبيين والمماليك، ثم العثمانيين، فالمجلس الإسلامي الأعلى، كلهم عملوا على صيانة

(51) المفصل في تاريخ القدس، مصدر سابق، ص: 506.
(52) شهاب الدين المقسي، مثير الغرام الى زيارة القدس والشام، ص: 248، 249.

وترميم تلك المقبرة، وأحاطوها بكل عناية ورعاية ممكنة حتى تسلّلت إليها يد المحتل الإسرائيلي الغادر، المدعوم من أعتى قوة استعمارية آنذاك وهي بريطانيا، حيث بدأ التخطيط مبكراً لإزالة وتدمير هذا المعلم الإسلامي العظيم عبر سلسلة من الاعتداءات لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن المشاهد والترب (المقابر) في بيت المقدس لم تكتسب الأهمية والمكانة التي تبوأتها للعوامل سابقة الذكر فحسب، بل لما أشارت إليه بعض المصادر–على قلتّها– حول اتخاذها كمؤسسات تعليمية، وليس أدلّ على ذلك من إطلاق مجير الدين على التربة الطازية لفظة (المدرسة) وذلك لاشتهارها بالتعليم، حيث أكدّ على أنه درّس فيها جماعة من الشافعيين أكثرهم من آل القلقشندي. ولعل د.علي السيد علي هو من القلائل الذين التقطوا هذه القضية وأوردها في كتابة "القدس في العصر المملوكي" (1986م)، حيث قال بأنه "...رتّب بها منشئوها المدرسين والطلبة، مثال ذلك التربة الطازية التي تقع بجوار المسجد الأقصى من ناحية الغرب، وقفها الأمير طاز المتوفى سنة 763هـ ونقش عليها "بسم الله الرحمن الرحيم... تربة العبد الفقير إلى الله تعالى المقر الأشرف السيفي طاز توفي رحمه الله سنة ثلاث وستين وسبعمائة...".[53] وقد ينسحب ذلك على عديد الترب (المقابر)، خاصة تلك التي أقيمت فيها الزوايا، ولمقبرة (ماملا) حصة الأسد من تلك الزوايا حيث أتينا على ذكرها في مقدمة بحثنا هذا من مثل؛ الزواية القلندرية، والبسطامية، والتربة الكبكية .

لقد اقترن تاريخ مقبرة (ماملا) باحتلال الصليبيين أو الفرنجة الأوروبيين للقدس سنة 492هـ/1099م، حيث اقترفت أيديهم أبشع صور القتل والذبح حتى أصبحت المدينة "مخاضة واسعة من دماء المسلمين" كما وصفها المؤرخ الصليبي (وليم الصوري)، وآخرون من المؤرخين الصليبيين. وقد كان لهذه المذبحة صدىً واسعاً في أرجاء العالم الإسلامي الذي كان يعاني من الضعف والانقسام والتناحر بين الأمراء والسلاطين.

وقد وصف ابن الأثير المذبحة المروّعة في كتابه "الكامل" بأن الفرنجة بعد حصار بيت المقدس لأكثر من أربعين يوماً، تمكنوا من دخول أسوارها من ناحية الشمال، وقد استمروا بذبح وقتل النساء والرجال والأطفال طيلة ذلك اليوم والليل. وفي صبيحة اليوم التالي اقتحم الصليبيون باب المسجد الأقصى، وقتلوا ما يزيد عن سبعين ألفاً، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعّبادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان وجاور ذلك الموضع الشريف... فأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا

(53) علي‌السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص:52.

تنوّراً من فضة وزنه أربعين رطلاً بالشامي وأخذوا من القناديل مائة وخمسين قنديلاً نقرة، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء...[54] وقد دُفنت جثامين الشهداء من الأطفال والنساء والشيوخ والأئمة الصالحين في أنفاق ومغر مقبرة (ماملا) "...ولا زال الاعتقاد بأن نفقاً تحت الأرض في الوسط الغربي من المقبرة مليء بالجماجم، وأن قُطر هذا النفق خمسة أمتار، وله امتداد بطول يزيد عن مئة متر...".[55]

ولما حررّ صلاح الدين الأيوبي القدس سنة (583هـ/1187م)، وضع نصب عينيه إعمار المدينة المقدسة، وإزالة آثار الصليبيين الذين حكموها حوالي تسعة عقود من الزمن. فأقام هو وأمراؤه من بعده، الزوايا والأربطة والمساجد والمدارس، وتسابقوا على نيل الشهادة على هذه الأرض المباركة، ورغبوا دوماً في أن يدفنوا فيها، ولذلك نجد غنى مقبرة الساهرة (المجاهدين) بقبور كبار هذا العهد، كما حرص صلاح الدين على أن يدفن شهداء تحرير القدس في تربة (ماملا) أو مأمن الله.

وكنا قد ذكرنا سابقاً، أن صلاح الدين كان قد عسكر بجيشه على أرض هذه المقبرة، وقد حرص على رعايتها وتعميرها، وقيل بأنه أقام سياجاً محكماً حول مغارة الجماجم التي احتوت على جثامين أكثر من سبعين ألفاً ممن قتلهم الصليبيون لدى سقوط المدينة بأيديهم، إلى درجة أن المدينة آنذاك أصبحت تشكو فراغاً ضخماً ونقصاً كبيراً من السكان المسلمين، كما يقول مؤرخ الحروب الصليبية (رنسيمان).

وحين استشهد عيسى بن محمد الهكاري الشافعي عام 585هـ/ 1189م وهو أكبر أمراء الدولة الايوبية، أمر صلاح الدين الأيوبي بدفنه في تربة (ماملا) ببيت المقدس، رغم أنه استشهد وهو يقاتل الفرنجة اثناء حصار مدينة عكا، وقد نقل جثمانه الطاهر إلى القدس ودفن بظاهرها في (ماملا). وعيسى بن الهكاري والملقب ضياء الدين هو الفقيه المحقق عيسى بن محمد بن عيسى المنتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان "...كبير القدر وافر الحرمة، معّولاً عليه في الآراء والمشاورات...".[56]

وقد أورد لنا مجير الدين في "الأنس الجليل" ترجمة لـ440 (أربعمائة وأربعين) عالماً وقاضياً وخطيباً نابغاً ممن عاشوا في بيت المقدس بين الفتح الصلاحي للقدس عام 583هـ ولغاية العام 900هـ، منهم (286) دفنوا في مقابر

---

(54) مصطفى الدبابلاد ،غنا فلسطين، ص: 167.
(55) طاهر النمري، مقالة في جريدة القدس، مصدر سابق، ص: 35.
(56) تراجم أهل مقبرة ماملا، مصدر سابق، ص: .121

المدينة من الصالحين والمجاهدين والأولياء والقضاة والشيوخ الاجّلاء. وقد عرف عن صلاح الدين اهتمامه بالتعليم والتدريس وبالإسكان (أي إعمار المدينة بالسكان). وفي هذا الإطار يقول عارف العارف نقلاً عن (البرغوثي وطوطح في تاريخ القدس) أن صلاح الدين "...أتى بعدد من مجموعات القبائل العربية المختلفة، وأقطعها المنازل والأحياء في المدينة. فأنزل بني حارث خارج المدينة عند القلعة. وبني مرّة من جهة الغرب الشمالي إلى سوق الفخر (خان الزيت)، وأعطى بني سعد حارة السعدية. وكانت لهم حراسة باب الخليل ومفتاحه بأيديهم. وفي شمال عقبة الشيوخ أنزل بني زيد، وأنزل الجرامنة في حارتهم بسوق القطانين ثم فرّق قبائلهم وغيرها على البلدان...".[57] كما أولى اهتماماً خاصاً بالقضاء حيث "... ولىّ القضاء فيها قاضياً شافعياً هو بهاء الدين يوسف بن رافع بن شدَّاد، صاحب صلاح الدين، وكاتب سيرته المحاسن اليوسفية، وجمع بن شداد بين قضاء القدس وقضاء العسكر السلطاني والنظر في أوقاف القدس....".[58]

وفي ذات السياق، أورد لنا مؤلف "القدس في العصر المملوكي" إحصائية على درجة كبيرة من الأهمية، مستنداً إلى "الأنس الجليل"، باعتباره من أهم المصادر الذي اعتمد عليه مؤلف الكتاب، لما اهتم فيه واضعه أو مصّنفه "...بذكر علماء بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك بصفة خاصة، حيث قسّم العلماء حسب مذاهبهم الدينية، وهم الذين اطلع على ترجمتهم فقط بصرف النظر عمّن لم يطلع على ترجمتهم وكانت النتيجة على النحو التالي:

أولاً: بالنسبة لعلماء الشافعية، فقد وقف مجير الدين في كتابه هذا على ترجمة لـ(298) فقيهاً من فقهاء الشافعية والذين وقف على تراجمهم. أما بالنسبة للحنفية، فقد ذكر لنا ترجمة لخمسة وستين فقيهاً من علماء الحنفية. أما المالكية فقد أورد تراجم لثلاثة وثلاثين فقيهاً، وفي النهاية أورد تراجم لأربعة عشر فقيهاً من فقهاء الحنابلة، وبذلك يكون إجمالي هذا العدد (410) فقيهاً من مختلف المذاهب...".[59]

وبالاعتماد على ذات المصدر (الأنس الجليل)، فقد قدّم لنا الأستاذ فهمي الأنصاري ترجمة لمائة واثنين وثلاثين علماً من القضاة والأعيان والفقهاء، ممن دفنوا في مقبرة (ماملا) أو مأمن الله بالقدس الشريف. وقد التقط النصوص كما جاءت في الطبعة القديمة للكتاب، وعارضها على نص مخطوط لذات الكتاب.

---

(57) المفصل في تاريخ القدس، مصدر سابق، ص: 176.
(58) الموسوعة الفلسطينية، (الدراسات التاريخية)، ص: 588.
(59) القدس في العصر المملوكي، مصدر سابق، ص: 127.

obeikandi.com

وبدرجة عالية من الموضوعية والدقة العلمية، يؤكد الأستاذ فهمي الأنصاري في بحثه هذا والذي أعاد نشره في كتاب (القدس الإسلامية –تحرير د.محمد هاشم غوشة، منشورات وزارة الثقافة/عّمان 2009م)، على عدة أمور هامة أرتأينا إدراجها في كتابنا هذا تعبيراً عن إعجابنا بمنهجه وأسلوبه من جانب، وتنويهاً بالجهد الكبير الذي قام به في سبيل إعلاء مكانة المدينة المقدسة، ولا سيّما تربتها الشهيرة (ماملا) التي ضمّت جثامين الفقهاء والعلماء والصالحين والقادة والمجاهدين، والتعريف بإسهاماتهم في الفقه والخطابة والقضاء والتأليف والجهاد والمجاورة، والاستماتة في سبيل الدفاع عن عروبة المدينة وإسلاميتها، والرغبة الجامحة في أن يدفنوا في مقابرها. ومن أبرز تلك الأمور:

1- إن الذين قدم ثبتاً بأسمائهم، هم ممن جاء ذكرهم بشكل صريح في المصدر، ولم يأت على ذكر أولئك الذين لم يذكروا صراحة خوفاً من الوقوع في الخطأ.
2- إن بعض التراجم التي نقلها لنا، كان مجير الدين قد ترجم لها، ولم يرغب في نقلها وذلك حرصاً منه على عدم تكرار المعلومة.
3- آثر أن يترك بعض الأسماء والتي لم يجد لها ضبطاً في أي من المصادر (طليقة من الضوابط)، ايماناً من المؤلف من (أن العلم لا يخُدم بالادعاء المقيت).
4- يؤكد على أن أقدم نص يدل على الدفن في (ماملا) من مضامين هذه التراجم، يعود إلى سنة 585هـ، وآخرها إلى سنة 898هـ. وهنا لابد من أن ننّوه إلى أن الذي توفي سنة (585هـ) هو أحد أهم امراء الدولة الصلاحية (الفقيه ضياء الدين أبو محمد عيسى بن محمد الهكاري الشافعي)، والذي ترجم له أستاذنا الأنصاري في بحثه هذا، إضافة إلى ترجمته للشيخ (شمس الدين محمد بن الفقاعي) والمتوفى سنة 898هـ، وهو موقّت المسجد الأقصى المبارك، وكان له معرفة بعلم التوقيت وباشره مدة طويلة كما يقول الباحث. وقد وجدناه يخرج عن (أقدم نص وآخر نص) لأسباب منطقية ووجيهة، إذ قام بالترجمة للشيخ الكمالي، وهو من أعظم شيوخ صاحب الإنس الجليل الذي كان قد الحق تاريخ وفاته ودفنه في (ماملا)، فارتأى الأستاذ الأنصاري إدراجه (إكراماً لما أكرم به المؤلف شيخه) كما يقول. كما لم يجد من اللائق عدم إدراج (مجير الدين) المتوفى سنة 927هـ، وهو صاحب الباع الطويل في تراجم الأعلام والفقهاء والقضاة، حيث

اعتبره الأنصاري في بحثه هذا "...مؤرخ القدس الشريف، الذي حفظ جزءاً من تراث هذا البلد الطيّب، وأسدى فائدة لمقبرة ماملا وأهلها...".[60]

5- وأخيراً، فقد اعاد الأستاذ الأنصاري التأكيد على مكان دفن مجير الدين الحنبلي بقوله "أنه مدفون في مقبرة "ماملا" وليس في الجسمانية، كما وهم كل من كتب حوله، وحتى إماطتنا اللثام عن هذه الحقيقة التي غابت عن الكثيرين ...".[61] ودليله في ذلك هو ما اقتبسه من زيارة عبد الغني النابلسي في المختار من رحلته، حيث زار مقبرة ماملا بالقدس وذكر وقوفه على بعض القبور ومنها قوله " ثم وقفنا على قبر الشيخ مجير الدين الحنبلي، صاحب التاريخ المشهور، سّماه الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل...".[62]

(60) تراجم أهل مقبرة ماملا، مصدر سابق، ص: 96.
(61) المصدر السابق، ص: 96.
(62) مقبرة مأمن الله (ماملا)، مصدر سابق، ص: 88.

opeikandl.com

آثار التخريب في مقبرة ماملا (مأمن الله).

آثار التخريب في مقبرة ماملا (مأمن الله).

آثار التخريب والتكسير على قبور ماملا (مأمن الله).

آثار الركام والحجارة في مقبرة ماملا (مأمن الله).

منظر لحالة الإهمال والتخريب في مقبرة ماملا (مأمن الله).

منظر من مقبرة ماملا (مأمن الله) لمبنى الأوقاف الإسلامية التاريخي الذي يتعرض للتزوير.

منظر لجانب من بركة ماملا (مأمن الله) التاريخية وكانت إحدى مصادر المياه التي تغذي القدس.

صورة لقبة علاء الدين الكبكي في مقبرة ماملا (مأمن الله).

صورة تظهر الواجهة الشمالية لقبة الكبكي حيث الباب الرئيس للقبة في مقبرة ماملا (مأمن الله).

قواطع أقامها الاحتلال لتخفي وراءها جرائم الاعتداء على مقبرة ماملا (مأمن الله).

قبور وشواهد تؤكد إسلامية مقبرة ماملا (مأمن الله).

قبور منحوتة ومزينة تليق بساكنيها من العظماء الفاتحين في مقبرة ماملا (مأمن الله).

قبور مزركشة تشهد على إسلامية مقبرة ماملا (مأمن الله) وعظمة ساكنيها.

قبور قديمة في ماملا (مأمن الله).

قبور لمجاهين وعلماء في ماملا (مأمن الله).

بعض القبور المحيطة بقبة الكبكي من الناحية الجنوبية الغربية في ماملا (مأمن الله).

بعض القبور المسيجة بعد أن تعرضت للتخريب المتعمد في ماملا (مأمن الله).

قبور تاريخية تظهر المعمار الإسلامي في مقبرة ماملا (مأمن الله).

علامات التكسير والتخريب في مقبرة ماملا (مأمن الله).

علامات التكسير والتخريب في مقبرة ماملا (مأمن الله).

آثار الركام والحجارة في مقبرة ماملا (مأمن الله).

نقش حجري تاريخي على أحد قبور ماملا (مأمن الله) يقاوم عوامل الزمن وتخريب الاحتلال.

شواهد جديدة لبعض القبور في ماملا (مأمن الله) تنبئ عن ساكنيها.

أحد قبور ماملا (مأمن الله) ويعود للسيد تاج الدين أبو البها محمد العوضي المؤرخ 16 ذي القعدة 803هـ.

أحد القبور التاريخية في ماملا (مأمن الله).

قبر الكبكي داخل القبة في ماملا (مأمن الله) بتاريخ.

تصوير المؤلف: د.محمد بحيص عرامين في 2012/6/11م